اتجاهات الخوارج في التفسير في العصر الحديث

دكتورة/ هند بنت محمد عبدالله المزروع
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
قسم الدراسات القرآنية –بكلية التربية– جامعة الملك سعود
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتناول هذا البحث اتجاهات الخوارج في التفسير في العصر الحديث، ويهدف البحث للكشف عن نشأة الخوارج، وفروعهم، وروادهم، وأصوله ومنهجهم وسماتهم العامة، وأهم انحرافاتهم في التفسير، ومعرفة الأسباب التي تقف وراء قلة إنتاج الخوارج في التفسير. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج منها أن الإباضية لا زالوا يحملون بعضًا من أصول الخوارج القدامى، وكشف البحث عن عدم انضباط طريقة الخوارج في التفسير، فهي مزيج من الرأي والاستدلال بكلام السلف والاستشهادات العقلية.

الكلمات المفتاحية: الخوارج – الانحرافات –التفسير – الفرق.

Kharijite Trends in Interpretation in the Modern Era

Dr. Hind Bint Mohammed Abdullah Al-Mazrou
Assistant Professor of Interpretation and Quranic Sciences –
Department of Quranic Studies - College of Education - King Saud University
Kingdom of Saudi Arabia

ABSTRACT:

This research deals with the trends of the Kharijites in interpretation in the modern era. The research aims to reveal the origins of the Kharijites, their branches, their pioneers, their fundamentals, their approach, their general characteristics, and their most important deviations in interpretation, and to know the reasons behind the lack of production of the Kharijites in exegesis. The research reached a number of results, including that the Ibadis still carry some of the fundamentals of the ancient Kharijites. The research revealed the lack of discipline in the way of the Kharijites in interpretation. It is a mixture of opinion and reasoning with the words of the predecessors and mental citations.

Keywords: Kharijites - deviations - interpretation – sects.

المقدمة:

إنَ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. أما بعد..

فهذا بحث يسير في موضوع:اتجاهات الخوارج في التفسير في العصر الحديث". سأتناول في هذا البحث، تعريف الخوارج في اللغة، والاصطلاح، وماهي أبرز أصولهم وأبرز روادهم، وأهم المؤلفات الخاصة بهم. وهذا هو الجانب الوصفي للبحث، وأما الجانب التطبيقي العملي فسأذكر أمثلة تطبيقية لنتاجهم العلمي في التفسير وما فيه من انحراف في المنهج مع بيان تقويمه بذكر الأمثلة.. اسأل الله تعالى أن يعينني على اتمامه وتيسيره ويجعله خالصًا.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١ــ الكشف عن نشأة الخوارج، وفروعهم، وروادهم.

٢ــ الكشف عن أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة.

٣ــ أهم انحرافات الخوارج في التفسير.

٤ــ معرفة الأسباب التي تقف وراء قلة إنتاج الخوارج في التفسير.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من تناوله لموضوع مهم وهو: اتجاهات الخوارج في التفسير في العصر الحديث، وكشفه عن أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة، وأيضًا إبرازه للأسباب التي أسهمت في قلة مؤلفات هذه الفئة في مجال التفسير دون غيرها من الفرق.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي في هذا البحث.

وقد قسمت البحث الى مقدمة، ومبحثين يشتملان على مطالب، وخاتمة.

المبحث الأول: الجانب النظري للبحث وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخوارج لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: نشأة الخوارج.

المطلب الثالث: أشهر فرق الخوارج وروادها.

المطلب الرابع: أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للبحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم انحرافات الخوارج في التفسير.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية تبين انحرافاتهم في التفسير.

الخاتمة: وذكرت فيها نتائج البحث.

التمهيد:

لم يكن في عهده – عليه الصلاة والسلام – فُرقة بين المسلمين، وإنما ظهر الافتراق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فكلما افترقت فرقة ظهر لها اسم خاص بها وأول هذه الفرق ظهورًا في تاريخ الإسلام (الخوارج) التي انقدحت شرارتهم الأولى بعد التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ولم يبق منهم في وقتنا الحاضر إلا فرقة واحدة هي"الإباضية"[1] وغالبية أتباع الفرقة الأولى للخوارج يتميزون بالسمات التالية[2]: –

١– أن أغلبهم من حُدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، قليلي العلم والفقه، والذين لم يتربوا على أيدي أهل العلم.

٢– أغلبهم ممن فيهم عاطفة دينية وغيرة، بلا علم ولا فقه ولا بصيرة ولا تجربة، ولا اعتبار عندهم لأهل العلم والفقه والبصيرة.

٣– لذا (أي بسبب السمتين السابقتين) استغوتهم فئة ثالثة، وهم رؤوس أهل الأهواء والمطامع، مثيري الفتنه ودعاة الفُرقة.

(١) نسبة الى عبد الله ابن إباض، من بني مرة ابن عبيد بن تميم، ويرجع نسبه إلى إباض، وهي قرية العارض باليمامة .(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)، (٥٨/١).
(٢) الخوارج، د. ناصر العقل (١٠/١).

المبحث الأول: الجانب النظري.

المطلب الأول: تعريف الخوارج لغةً، واصطلاحًا.

أولًا: تعريف الخوارج لغة(١):

جمع خارج، وخارجي، وهو اسمٌ مشتق من الخروج، وقد اطلق علماء اللغة في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة "خرج" على هذه الطائفة من الناس، معللين ذلك بخروجهم عن الدين، أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس.

ثانيًا: تعريف الخوارج في الاصطلاح:

اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج وحاصل ذلك: –

منهم من عرفهم تعريفًا سياسيًا عامًا، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجًا في أي زمن كان.

قال الشهرستاني(٢): " كل من خرج عن الإمام التي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، والأئمة في كل زمان ".

ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي – رضي الله عنه –.

قال الأشعري(٣): "والسبب الذي سُمُّوا له خوارج، خروجهم على علي ابن أبي طالب".

وعرفهم د. ناصر العقل(٤): " بأنهم الذين يكفِّرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين".

- وأياً كان تعريف الخوارج بواحد من هذه التعريفات، فمن الواضح ارتباط هذه المعاني الاصطلاحية ارتباطًا قريبًا بالمعنى اللغوي للخروج(٥)، ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكِّمة الحروريَّة)، ومن تفرع عنهم من الفرق المختلفة.

كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم، كجماعات التكفير والهجرة في هذا العصر، وعلى هذا فإن الخوارج قد يخرجون في كل زمان، وسيظهرون في آخر الزمان، وكما أخبر النبي – عليه الصلاة والسلام – عن الخوارج الأولين، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم كذلك عن المتأخرين، وأنهم يخرجون في آخر الزمان(٦).

---

(١) مقاييس اللغة (١٧٥/٢)، لسان العرب (٢٨٥/٢)، القاموس المحيط (١٩١/١).

(٢) الملل والنحل (١١٤/١).

(٣) مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١).

(٤) الخوارج، د. ناصر العقل (ص٢٢)

(٥) الخوارج تاريخهم وآرائهم (ص٧)

(٦) الخوارج، د. العقل (ص٢٢)

قال صلى الله عليه وسلم: "سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميِّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة"(١).

المطلب الثاني: نشأة الخوارج.

بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – نشط أنصار علي – رضي الله عنه – في الدعوة له، حتى أخذوا له البيعة من المسلمين، لكن لم تكد تتم له البيعة حتى قام ثلاثة من كبار الصحابة ينازعونه الأمر، لاعتقادهم أن الحق في غير جانبه، وهؤلاء الصحابة هم: معاوية بن أبي سفيان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام.

وكان لعلي – رضي الله عنه – أنصار، وكان لمعاوية – رضي الله عنه – كذلك أنصار، إلى أن جاءت موقعة صفين، فكاد الفشل يحيق بجيش معاوية حتى جاء بحيلة رفع المصاحف على أسِنَّة الرماح، طلباً للهدنة، ورغبة في التحكيم بين الحزبين، وقد قبل علي – رضي الله عنه – التحكيم حقناً للدماء، والحكمان هما: عمرو بن العاص ممثلًا لمعاوية، وأبو موسى الأشعري ممثلًا لعلي – رضي الله عنهم –.

ولم يرض بعض من كان مع علي – رضي الله عنه – بفكرة التحكيم فخرجوا عليه، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقرَّ على نفسه بالكفر، لقبوله التحكيم، وإلَّا إذا أنقض ما أبرم من الشروط بينه وبين معاوية، ولكن عليًا – رضي الله عنه – لم يستجب لهم، فأخذوا كلما خطب علي رفعوا أصواتهم بقولهم " لا حكم إلَّا لله"، ولكن التحكيم لم ينجح، وبعد يأس الخوارج من رجوع علي – رضي الله عنه – إليهم قرروا الخروج إلى قرية يقال لها "حرورا ء" وأمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي(٢).

ووقعت بينهم وبين علي حروب طاحنة هزمهم فيها، ولكن لم يقض عليهم، وقد دبَّروا مكيدة قتله، فقتله عبد الرحمن بن ملجم(٣).

وفي الدولة العباسية دبَّ التفرق بينهم، وصاروا أحزابًا، كل حزب يختلف عن الآخر في المبدأ والعقيدة.

ويجمع الكل على مبدأين اثنين:

أولهما: إكفار علي، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، (٦٩٣٠/١٦/٩)

(٢) نسبة إلى راسب حي من الأزد.

(٣) التفسير والمفسرون، للذهبي، بتصرف.

ثانيهما: وجوب الخروج على السلطان الجائر.

وهناك مبدأ ثالث: يقول به أكثر الخوارج وهو: الإكفار بارتكاب الكبائر[١]

ألقاب الخوارج:

للخوارج ألقاب كثيرة أهمها:

١- **الخوارج:** سُموا بذلك لأن النبي صلى الله عليه وصفهم بأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين، ولأنهم يخرجون على أئمة المسلمين وعلى جماعاتهم بالاعتقاد والسيف.

٢- **المحكِّمة:** لأنهم فارقوا عليًا وجماعة المسلمين بسبب مسألة التحكيم ،حينما زعموا أن عليًا حكَم الرجال وقالوا: "لا حكم إلَا لله"، وقد كفَروا عليًا والحكمين ، ومن قال بالتحكيم ورضي به،،

٣- **الحروريَّة:** وهم الذين خرجوا على علي وجماعة الصحابة، لأنهم حين خرجوا انحازوا إلى مكان يقال له: حروراء بالعراق.

٤- **المارقة:** لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم "مارقة "ووصفهم بأنهم "يمرقون من الدين".

٥- **المكفِّرة:** لأنهم يكفِّرون بالكبائر، ويكفرون من خالفهم من المسلمين.

٦- **السبئيَّة:** لأن منشأهم من الفتنة التي أوقدها ابن سبأ اليهودي، وهذا وصف لأصول الخوارج الأولين ورؤوسهم.

٧- **الناصبة:** لأنهم ناصبوا عليًا-رضي الله عنه-العداء، وصرحوا ببغضهم.

٨- **الشراة:** لأنهم زعموا أنهم يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله في قتالهم المسلمين، وقد أطلق على فئات من الخوارج الأولين.

المطلب الثالث: أشهر فرق الخوارج وروادها :-

١- **الأزارقة:** وهم أتباع نافع بن الأزرق، وهم يكفِّرون من عداهم من المسلمين، ويحرمون أكل ذبائحهم، ومناكحتهم، ولا يجيزون التوارث بينهم، ويعاملونهم معاملة الكفار، ودارهم دار حرب، ويحل قتل نسائهم وأطفالهم، أما قاذف المحصنات فعليه الحد قطعًا، ولايرون جواز التقية.

٢- **النجدات:** وهم أتباع نجدة بن عامر، وهم يرون أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن الحاجة تدعو إلى إمام أقاموه، كما أنهم

(١) الفَرق بين الفِرق، (ص٥٥).

يكفِّرون نافع ابن الأزرق، ويكفر من يكفِّر القاعدين عن الهجرة، ويقولون: إن الدين أمران:

أحدهما: معرفة الله تعالى، ومعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، والإقرار في ما جاء به جملة، فهذا واجب معرفته على كل مكلف.

ثانيهما: ما عدا ما تقدم، فالناس معذورون بجهالته إلى أن نقوم عليهم الحجة، فمن استحل شيئًا حرامًا باجتهاد فله عذره، وهم يعظمون جريمة الكذب، ويجعلونها أكبر جرمًا من شرب الخمر والزنا.

٣- **الصفرية:** وهم أتباع زياد بن الأصفر، وهم يقولون بأن أصحاب الذنوب مشركون، غير أنهم لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم كما ترى الأزارقة ذلك، وقد انقرضت هذه الثلاث فرق.

٤- **الإباضية:** وهي الباقية إلى اليوم، أتباع عبدالله بن إباض، وهم أعدل فرق الخوارج، وأقربها إلى تعاليم أهل السُّنة، وهم يُجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ولكنهم كفار، ويروى عنهم أنهم يريدون كفر النِّعمة، وأجازوا شهادة مخالفيهم من المسلمين، ومناكحتهم، والتوارث معهم، وحرموا دمائهم في السر دون العلانية، لأنهم محاربون لله ورسوله، ودارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان، واستحلوا من غنائمهم: الخيل والسلاح، وكل ما فيه قوة حربية لهم، ولم يستحلوا غنائم الذهب والفضة، بل يردونها إلى أهلها(١).

إثبات نسبة الإباضية إلى الخوارج:

ومما يجدر ذكره هنا أن جماعة من الإباضية خاصة من المعاصرين حاولوا التبرؤ من نسبة الإباضية إلى الخوارج.

وقد رد الدكتور/ غالب العواجي على هذا الزعم فقال: "اتفقت كلمة علماء الفرق –الأشعري فمن بعده– على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وليس المخالفون للإباضية فقط هم الذين اعتبروهم في عداد الخوارج، وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمين أيضًا؛ إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج. ولكن بالرجوع إلى ما كتبه بعض العلماء الإباضية مثل أبي إسحاق أطفيش، وعلي يحيى معمر– نجد أنهم يتبرأون من تسمية الإباضية بالخوارج براءة الذئب من دم يوسف"(٢).

(١) التفسير والمفسرون، للذهبي، (٢/٢٢٤).

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/ ٢٤٧).

ولقد خاض علي يحيى معمر في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية، والإباضية في موكب التاريخ، وغيرها –خاض غمار هذه القضية وتفانى في رد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج، وهاجم جميع علماء الفرق المتقدمين منهم والمتأخرين على حد سواء، واعتبر عدهم للإباضية من الخوارج ظلمًا وخطأ تاريخيًا كبيرًا، لأن تاريخ الخوارج عنده يبدأ من سنة ٦٤هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده، وسمى ما قام به المحكِّمة الأولى فتنًا داخلية. ونفى وجود أي صلة ما بين المحكِّمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وغيرهما من الخوارج. (١)

المطلب الرابع: أصول الخوارج ومنهجهم وسماتهم العامة(٢):

١- التكفير بالمعاصي (الكبائر) وإلحاق أهلها (المسلمين) بالكفار في الأحكام والدار والمعاملة والقتال.

٢- الخروج على أئمة المسلمين اعتقادًا وعملًا-غالبًا- أو أحدهما أحيانًا.

٣- الخروج على جماعة المسلمين ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار، والأحكام، والبراء منهم، واستحلال دمائهم.

٤- كثرة القراء الجهلة فيهم والأعراب، وأغلبهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم " حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ".

٥- ظهور سيما الصالحين عليهم، وكثرة العبادة، كالصلاة والصيام، وأثر السجود، ويكثر فيهم الورع على غير فقه، والصدق والزهد، مع التشدد والتنطع في الدين كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم " تحقرون صلاتكم عند صلاتهم...".

٦- ليس فيهم من الصحابة ولا الأئمة العلماء.

٧- الجهل بالسنة واقتصارهم على الاستدلال بالقرآن.

٨- سرعة التقلب واختلاف الرأي.

٩- الخلل في منهج الاستدلال.

١٠- التعجل في إطلاق الأحكام والمواقف من المخالفين.

١١- القوة والخشونة والجفاء والغلظة في التعامل، وفي الجدال.

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية، د/ علي يحيى معمر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة،الطبعة الثانية، ١٤١٥ه- ١٩٩٤م.

(٢) الخوارج، د. العقل (ص٣١) بتصرف يسير.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي وفيه مطلبان :

المطلب الأول: أبرز تفاسير الخوارج وأصولهم في التفسير:

لم يكن للخوارج من الإنتاج التفسيري مثل ما كان للمعتزلة، أو الشيعة أو غيرهما من فرق المسلمين، التي خلَّفت لنا الكثير من كتب التفسير، وكل ما وصل إلينا من تفسير الخوارج الأُوَل لم يزد عن بعض أفهام لهم لبعض الآيات القرآنية تضمنها جدلهم، واشتملت عليها مناظراتهم(١).

السبب في قلة إنتاج الخوارج في التفسير:

ولعل غلبة الجهل عندهم وقلة العلم الشرعي مع الحماس والدعوة للقتال لاسيما وعامتهم من حدثاء الأسنان الذين تعالوا على العلماء واحتقروا علمهم، إضافة إلى اهتمام الحكام بمواجهتهم على مر العصور قد أسهم وبشكل كبير في قلة مؤلفاتهم على سبيل العموم، وفي مجال التفسير على وجه الخصوص(٢).

وقد توسع الشيخ محمد حسين الذهبي في بيان السر فى أن الخوارج قَلَّ إنتاجهم فى التفسير، فقال:"والجواب عن هذا السؤال – كما أعتقد – ينحصر في أُمور ثلاثة، وهي ما يأتي:

أولًا: أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الديني، والعلمي، والاجتماعي، وكانوا يمثلون الإسلام الأول فى بساطته، وعلى فطرته، بدون أن تشوبه تعاليم الأُمم الأُخرى. أضف إلى ذلك: احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبُعْد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.

ثانيًا: أنهم شُغِلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم. وكانت حروباً قاسية وطويلة، ومتتابعة.. أسلمتهم حروب عليّ إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في حالة تشبه الاحتضار، وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعى أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثًا: أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ – كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه – عند جمهورهم

(١) التفسير والمفسرون، (٢٣٢/٢).

(٢) الاتجاهات المنحرفة في التفسير، د. عادل الشدي (ص١٤٨)

– يخرج الإنسان من عِداد المؤمنين – فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله.. وقد سُئِل بعضهم: لِمَ لَمْ تُفسِّر القرآن؟ فقال: "كلما رأيت قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

من أجل هذا كله لم يكن يُنتظر من الخوارج أن يُؤلِّفوا لنا في التفسير كما ألَّفَ غيرهم، وليس التفسير وحده هو الذي حُرِم من تصنيف الخوارج وتأليفهم، بل كل العلوم في ذلك سواء، وما وُجِد لهم من مؤلفات فى علم الكلام، أو الفقه، أو الأُصول، أو الحديث، أو التفسير، أو غير ذلك من العلوم فكله من عمل الإباضية وحدهم؛ لأن هذه الفِرْقة هي التي عاشت وانتشرت في كثير من بلاد المسلمين، واستمرت إلى يومنا هذا، وتأثرت بتعاليم المعتزلة وغيرهم، وسايرت التطور العلمي والاجتماعي"[1].

وفي العصر الحديث لا يكاد الباحث يجد لهم إلا أربعة تفاسير هي:

١ــ هميان الزاد إلى دار المعاد، ليوسف إطفيش. وهو أبرز تفاسير الإباضية وأشهرها، وقد قال عنه يوسف سركيس في كتابه معجم المطبوعات العربية والمعربة[2]: "هميان الزاد إلى دار العباد – وهو تفسير كبير للقران الشريف"، وقد جاء في معجم أعلام الجزائر[3] في التعريف بالمؤلف، ما يأتي: "محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكة في تونس: مجتهد، من أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الاصلاحية الحديثة بالجزائر. ولد في بني يسقن وبها نشأ وتعلم. سافر إلى الديار المقدسة مرتين وكان يؤلف وهو في السفينة. عكف على التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد إلى أن وافاه الأجل في مسقط رأسه وعمره ستة وتسعون عامًا. له "هميان الزاد ليوم المعاد في التفسير في ستة أجزاء، و"التيسير" في التفسير أيضًا في سبعة أجزاء، و"داعي العمل ليوم الأمل" في أربعة أجزاء، فسر فيه القرآن من سورة الرحمن إلى سورة الناس...".

٢ــ تيسير التفسير، ليوسف إطفيش، وهو مختصر لكتابه السابق.

٣– تفسير الهواري الجزائري. والهواري هو: "هود بن محكم الأوراسي الهواري (توفي بعد ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م): مفسر، فقيه أباضي، من أقدم مفسري كتاب الله

(١) التفسير والمفسرون (٢/ ٢٣٤).

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة (٢/ ١٩٢٤).

(٣) معجم أعلام الجزائر (ص ١٩– ٢٠). وانظر أيضًا: الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٦).

العزيز في المغرب الأوسط. نشأ وتعلم بتيهرت، وكان والده (السابقة ترجمته) قاضيها. من آثاره "تفسير القرآن الكريم" خاص بالإباضية"[1].

٤- **جواهر التفسير، لأحمد بن حمد الخليلي**، وللدكتور فهد الرومي تفصيل جيد في الكلام عن هذه التفاسير والتعريف بها، وقد ذكر قديمها وحديثها[2].

أما أبرز أصولهم في التفسير فهي:

١- تأويل آيات الصفات وصرفها عن معناها الظاهر.

٢- إثبات عقائدهم المنحرفة من خلال الاستدلال الخاطئ بالنصوص القرآنية، وخصوصًا: تكفير أصحاب المعاصي.

٣- الخلل في منهج الاستدلال بالاقتصار على آيات الوعيد وإهمال معاني آيات الوعد.

٤- صرف آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الخروج على الحكام وقتالهم.

٥- التعصب لمذهبهم وعد مخالفته ولو صحت الروايات المخالفة لبعض أجزائه، والجرأة على رد الحديث النبوي أو تأويل الآيات الدالة على خلاف مذهبهم.

٦- الاعتماد على منهج التفسير بالرأي في معظم تفاسيرهم وندرة الاستدلال بالتفسير المأثور.

٧-ضعف العناية بالسنة النبوية تصحيحًا وتضعيفًا واستدلالًا.

٨- الزعم بأن القرآن مخلوق والدفاع عن هذه العقيدة المنحرفة.

٩- كثرة إيراد الإسرائيليات وأخبار القصاص دون التنبيه على ذلك وبيان حكمه.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية تبين انحرافاتهم في التفسير.

وسأقتصر بالأمثلة على تفسير "الإباضية"، لأن ما وجد لهم من مؤلفات في علم الكلام، أو الفقه، أو الأصول، أو التفسير، أو الحديث، أو غير ذلك من العلوم فكله من عمل الإباضية، لأن هذه الفرقة هي التي عاشت وانتشرت في كثير من بلاد المسلمين، واستمرت إلى يومنا هذا.

وأدناه بعض ما يمثل اتجاهات هذه الفرقة في التفسير:

(١) معجم أعلام الجزائر، (ص: ٣٣٨).

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (١/ ٣٠٣).

(١) النقل أحياناً عن تفسير السلف:

وهذا من الإيجابيات، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]

حيث قال أطفيش: "قال ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن بن علي ومجاهد وعكرمة: تلك الكلمات هي ما حكى الله سبحانه وتعالى عنه: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وعن ابن عباس في رواية: هن ما روى أن آدم عليه السلام قال: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى؛ قال ألم تكن أسكنتني الجنة؟ قال بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال بخطيئتك، قال: يا رب أأنا أتيت شيئًا ابتدعته من تلقاء نفسي، أو شيئًا قدرته علي قبل أن تخلقني؟ قال: بل قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب كما قدرته علي فاغفر لي"[(١)].

(٢) إيراد الضعيف والموضوع من الأحاديث:

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة: ٨٥]

وفي هذا الموضع يقول أطفيش: "ويحتمل أن يكون قوله: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالفوقية خطابًا لقريش ونحوهم، أي: لا يغفل عنكم كما لم يغفل عن اليهود، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهُ قال: إن بني إسرائيل قد مضوا وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد، يريد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مكلفون بذلك الذي كلف به بنو إسرائيل، ومعاقبون إن توفوا كما عوقبت بنو إسرائيل حين لم يوفوا، وليس مراده أن الآية خطاب لهذه الأمة، وأول ما ظهر هذا العقاب الظهور الفاحش الشنيع بخراسان من المشرق، وبالأندلس من المغرب، شاع الجور والمعصية فعوقبوا بأيدي الروم. وفي الأثر عنه صلى الله عليه وسلم من الحديث القدسي: «إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني»[(٢)].

---

(١) هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الإباضي المصعبي، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة،الطبعة الثانية، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م، (٢٦٧/١).

(٢) العقوبات، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (٣٣/٣٧)، و البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مطبعة السعادة – القاهرة، (٨١/١٣).

وهذه المعرفة مراتب فانظر كيف سلَّط الله على الموحدين لما عصوه الروم، وسلط المخالفين على الإباضية الوهبية وسلط عوام الإباضية الوهبية على خواصهم لما عصت الخواص"[١].

وقد انتقد الشيخ محمد حسين الذهبي هذه القضية في تفسير أطفيش، فقال: " نقرأ فى هذا التفسير فنجد أن صاحبه يذكر فى أول كل سورة عدد آياتها، والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السورة، مستشهدًا لذلك فى الغالب بالأحاديث الموضوعة فى فضائل السور، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجَّالين، ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحًا وافيًا، فيُسهب فى المسائل النحوية، واللُّغوية، والبلاغية، ويفيض فى مسائل الفقه، والخلاف بين الفقهاء كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التى لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل، كما يطيل فى ذكر تفاصيل الغزوات التى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم هو بعد ذلك لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها فى جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلًا عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلَّمس لها كل ما فى طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها.. وقد يكون تأويلًا متكلفًا، وفاسدًا، لا ينجيه من معارضة الآية له، لكنه التعصب الأعمى ... يدفع الإنسان إلى أن ينسى عقله، ويطرح تفكيره الصائب، ليمشي مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطىء!! " [٢]

(٣) إعمال الرأي والاتجاه للمنحى العقلي:

وهذا يظهر بجلاء من خلال مطالعة تفسير (همیان الزاد)، بل يتضح هذا من خلال مقدمة تفسيره حيث أعرب عن منهجه القائم الفكر. وأبان عن تأثره بالزمخشري والبيضاوي حيث سمى الأول باسمه وسمى الثاني بالقاضي.

وفي هذا يقول أطفيش: "وبعد، فهذا تفسير رجل يسجني أباضي وهبي، ويعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه ولا يقلد فيه أحدًا إلا إذا حكى قولًا أو قراءة أو حديثًا أو قصة أو أثرًا لسلف، وأما نفس تفاسير الآي والرد على بعض المفسرين والجواب فمنه، إلا ما تراه منسوبًا، وكان ينظر بفكره في الآية أولًا ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضي، وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما، ويوافق وجهًا

(١) همیان الزاد إلى دار المعاد، (١/ ٤٠٥).
(٢) التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٣٧).

أحسن مما أثبتاه أو مثله. .. ويتضمن –إن شاء الله– الكفاية، في الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه، وإيضاح مذهب الأباضية الوهبية واعتقادهم، وذلك بحجج عقلية ونقلية"[١].

(٤) التكلّف وغياب العلمية في بعض المواطن:

وقد وصف الشيخ محمد حسين الذهبي مسالك أطفيش في الإدلاء بالرأي في بعض المواضع المتعلقة بفوائد السور بأنه من قبيل كلام الدجالين، فقال عن ذلك: "ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجَّالين"[٢].

(٥) الانحراف في باب الأسماء والصفات:

ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]

يقول صاحب هميان الزاد: "(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): استولى... كناية عن الملك والقهر، كناية مشهورة"[٣].

ومن هذا المثال يظهر أن هذا التفسير الإباضي، قد أصابه شيء من آفة التحريف الذي يسميه بعضهم أهل البدع تأويلًا، فإن (أطفيش) يفسّر معنى استواء الله تعالى على عرشه بـ: الاستيلاء.

وهذا خلاف منهج السلف في باب الأسماء والصفات. فإن الاستواء عندهم معناه: العلو والارتفاع، ففي تفسير الطبري: "وقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا"[٤].

وقد أبان ابن كثير أن هذا هو منهج السلف في إثبات المعنى بلا ريب، مع تنزيه الله تعالى، فقال رحمة الله عليه: "وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) فَلِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَقَالَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا، وَإِنَّمَا يُسلك فِي هَذَا الْمَقَامِ مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مَالِكٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، والثوري، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرُهُمْ، مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ"[٥].

---

(١) هميان الزاد، (١/ ٥).

(٢) التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٣٧).

(٣) هميان الزاد (٨/ ١٨٨)

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان (١٨/ ٢٧٠)، وقد فصّل الطبري في منهج السلف في هذه المسألة كما في تفسيره جامع البيان (١٢/ ٤٨٢)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) "الأعراف ٥٤".

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦– ٤٢٧).

ومنه أيضًا ما جاء في تفسير قولة تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]

قال يوسف إطفيش: "وكشفها كناية عن شدة الأمر، ومن أثبت لله ساقًا على ظاهره أشرك بهذا الاعتقاد وأشرك بتفسير القرآن، ويكفي في المتشابه ما ورد التصريح به مضافًا إلى الله تعالى مثل: يد الله، ووجه الله، ويمين الله، والاستواء على العرش، فنؤوله بما يليق بوحدانيته، وأما ما لم ينسب إليه فما الداعي إلى نسبته إليه وجعله من المتشابه، وما ورد من إثباته، على ظاهره في حديث كذب موضوع ولو كان في الصحيحين وغيرهما، مثل ما يروى عن أبي سعيد، عنه صلى الله عليه وسلم: (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا) [(١)] وإن صح الحديث فالساق فيه عبارة عن شيء يظهره الله لهم مما شاء أو عن الأمر الشديد"[(٢)].

ويتبين لنا من هذا التفسير أن أطفيش قد سلك في هذا مسلكًا يخالف مسلك السلف، فقام بتأويل معنى (الساق) بكونها: "شدة الأمر" وهذا على خلاف الظاهر من لفظ الآية.

كما أن هذا التأويل على خلاف ما ثبت في صحيح السنة النبوية، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[(٣)].

(٦) إنكار رؤية الله للمؤمنين في الآخرة:

ومن أمثلة ذلك[(٤)] ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال الخليلي: "أنه تعالى مدح نفسه فيها بأن الأبصار لا تدركه، وإدراكها الرؤية، فتبين منها أن عدم رؤيته بالأبصار صفه ذاتية لازمة له تعالى، فإنه لو رؤي للزم زوال مدحه، وإذا زال انقلب إلى ضدّه وهو الذم تعالى الله عنه "[(٥)].

وقال يوسف إطفيش: "لا تدركه الأبصار "في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يختص الإدراك بالكنه، بل من أدرك طرف شيء فقد أدركه ولو لم يدركه كله، ورؤيته تعالى توجب التحيز والجهات والزمان والحلول واللون، والغلظ أو الدقة والطول والعرض

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب يوم يكشف عن ساق، رقم(٤٩١٩). (٦/ ١٥٩).
(٢) هميان الزاد، (٣١٤/١١).
(٣) صحيح البخاري، (٦/ ١٥٩).
(٤) الاتجاهات المنحرفة في التفسير، (ص١٥١).
(٥) الحق الدامغ، (ص٦٨).

والحاجه وذلك يوجب الحدوث، ونفي الإدراك مدح وما هو مدح يستمر في الدنيا والآخرة، ولا يدرك بالقلب أيضًا، لأنه إذا صوّره القلب لزم تحيزه"[1].

ويتضح من هذا التفسير ما يلي :

١- إنكارهما للرؤية في الدنيا والآخرة.

٢- تنزيلهما النص على عموم لا يقتضيه ظاهر النص.

٣- إنكارهما للسنة النبوية الصحيحة الواردة بثبوت الرؤية.

٤- التعلق بتأويل عقلي لنص آية واحدة في هذا الموضوع، وإغفال الدلالات الواضحة لآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

٥- الزعم بأن إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة يوجب التحيز والجهات والزمان والحلول واللون والغلظ أو الدقة والطول أو العرض والحاجة، وذلك يوجب الحدوث[2] مغالطة واضحة وإلزام بما لا يلزم وما علاقة الحدوث بإثبات الرؤية؟ ومثله زعم الخليلي أنه لو رؤي للزم زوال مدحه، وإذا زال انقلب إلى ضده وهو الذم "، فإن مسلك الإلزام بهما لا يلزم ظاهر في هذا المثال، ثم قال بأن رؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة تقتضي زوال مدحه؟

٦- هذا التفسير المخالف للصواب مبني على فهم غير سديد لمعنى الآية بأنها تشمل الدار الآخرة، وليس الدار الدنيا فقط، وفهم غير سديد لمعنى الإدراك بأنه مجرد الإبصار وليس الدار الدنيا فقط، وفهم غير سديد لمعنى الإدراك بأنه مجرد الإبصار وليس هذا مجالنا في المناقشة[3]، لكن المقصود بيان خطأ المتأخرين من أهل هذا الاتجاه، واتباع أسلافهم في تأويل النصوص القرآنية، ورد السنة النبوية المخالفة لمذهبهم.

(٧) إنكار الشفاعة لأهل الكبائر:

حيث جاء ذلك في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣]

يقول يوسف إطفيش: "ولا تنفعها شفاعة لعدمها فالمراد أنه لا شفاعة تنفعها، فالشفاعة هنالك منفية من أصلها، وليس المراد أن هناك شفاعة لا تقبل، وإنما ساغ ذلك

(١) هميان الزاد، ليوسف إطفيش، (٣١٠/١١).

(٢) هميان الزاد، ليوسف إطفيش، (٣١٠/١١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير، (١٦٢/٢)، وأضواء البيان (٤٨٩/١)، وتفسير البغوي، (١٢٠/٢) والدر المنثور، (٣٣٥/٣)، وتفسير ابن أبي حاتم، (١٣٦٣/٤).

لأن القضية السالبة تصدق بنفي الموضوع، كما تصدق بنفي المحمول، فكما تقول: ليس زيد قاعدًا في السوق وتريد أنه فيها لكن قائم، وكذلك تقول: ليس زيد قاعدًا فيها، وتريد أنه ليس فيها أصلًا وذلك مخصوص بالمشرك، فأنه لا شفاعة له هنالك إلا شفاعة القيام لدخول النار، ولا نفع له في دخول النار، وإنما الشفاعة للموحد التائب" (١).

ويتبين لنا من هذا التفسير ما يلي:

١- أن المفسر يعتقد أن الشفاعة لا تقع لغير الموحدين، ولا يمكن أن تقع لأصحاب الكبائر، ومن ثم حمل معنى الآية لإثبات هذا اعتقاد.

٢- أنه بنى رأيه هنا على اعتقاد لغوي، أهمل فيه أخت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]، وهي لا تفي الشفاعة مطلقًا، وإنما تنفيها عن الكفار، بينما أصل الشفاعة قائم.

٣- أن تقيد الشفاعة بالموحد التائب، مخالف لما قررته السنة النبوية.

وفي مثال آخر يوضح هذه القضية: ما جاء عند قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧]

يقول أطفيش مؤكدًا نفي الشفاعة عن أهل الكبائر المصرين عليها:" (يَا بَنِى إسرَائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ): أعاده تأكيدًا في شكر النعمة ووجوب شكرها، وليذكروا معه إيجاب ذكر التفضيل الذى هو من عظم النعم، وليعقبه بذكر الوعيد الشديد الذى لا تدفع منه نفس عن نفس شيئًا على ترك الشكر الذي من جملته الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به، وليس كما قيل إنما تقدم للمؤمنين والكافرين منهم، وهذا للكافرين منهم خصوصًا وليس قوله: (ولا يقبل منها شفاعة... إلخ) دليلًا عليه كما قيل: لأن ذلك وعظ يوعظ به المؤمن والكافر، نقول اتق يومًا لا شفاعة للموحد الشقي ولا نصر، ولا للمشرك. ولأن التحقيق أنهُ لا شفاعة لأهل الكبائر المصرين"(٢).

وهو تفسير واضح الدلالة على إنكار أطفيش للشفاعة في حق المصر على الكبيرة، وفي هذا شبه كبير بمذاهب الخوارج الأوائل ممن يرى التكفير بالكبيرة.

(١) همیان الزاد، ليوسف إطفيش، (٣١٠/١١).
(٢) همیان الزاد، (١/ ١٩٤).

(٨) إيراد الإسرائيليات:

ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]

فقد قام أطفيش ببيان كيفية إزلال الشيطان للأبوين، فقال: "(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ): إبليس، أي: أزلقهما أو أصدرهما أو أذهبهما... وقيل: قام عند الباب فناداهما، وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة، فدخل في فم الحية فدخلت به وهم لا يشعرون"(١).

وهذا الزعم بدخول إبليس في بطن الحية إنما هو من أخبار بني إسرائيل، والتي لا يصح الاستناد إليها في التفسير.

(١) همیان الزاد (٢٥١/١)

الخاتـــمة:

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين ،،،

يتبين من خلال هذا البحث النتائج التالية:

١- أن الإباضية لا زالوا يحملون بعضًا من أصول الخوارج القدامى.

٢- عدم انضباط طريقة الخوارج في التفسير، فهي مزيج من الرأي والاستدلال بكـــلام السلف والاستشهادات العقلية.

٣- دخلت على هذه الفرقة اعتقادات من فرق أخـــرى كالأشـــاعرة والمعتزلـــة الـــذين تخبطوا في باب الأسماء والصفات.

٤- من الواضح قلة بضاعة الإباضية من الناحية العلمية، حيث يكثر لـــدى مفـــسريهم الاستشهاد بالضعيف والموضوع والإسرائيليات.

فهرس المصادر والمراجع:

١ــ الإباضية بين الفرق الإسلامية، د/ علي يحيى معمر، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة،الطبعة الثانية، ١٤١٥ه- ١٩٩٤م.

٢ــ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د/فهد الرومي – مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٦ه.

٣ــ الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، أ /د عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤٣١ ه.

٤ــ الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن ودوافعها، محمد حسين الذهبي، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦ م.

٥ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٦ــ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٧ــ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مطبعة السعادة – القاهرة، د.ت.

٨ــ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٩ــ تفسير القرآن العظيم،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٠ــ التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي –مكتبة وهبة–القاهرة - الطبعة الثامنة - ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١ــ جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٢ــ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣ــ الحق الدامغ، الشيخ/ أحمد بن حمد الخليلي، ١٤١٢ه.

١٤ــ الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م.

١٥ــ الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها "غالب بن علي عواجي، رسالة ماجستير –جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الشريعة –١٣٨٩هـ–١٣٩٩م.

١٦ــ الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، د.ت.

١٧ــ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق :محمد زهير الناصر – دار طوق النجاة محمد فؤاد عبد الباقي – الطبعة الأولى. ١٤٢٢ه.

١٨ــ العقوبات، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٩ــ الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني –ت ٧١٨ –دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٠ــ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد الغدادي – دار الأفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢١ــ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢ــ القاموس المحيط، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – دار الجيل بيروت.

٢٣ــ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٤ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٢٥ــ مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر. عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

٢٦ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس. طبعته مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ– ١٩٢٨م.

٢٧ــ مقالات الإسلامين، أبو الحسن علي بن إسماعيل إسحاق بن ابي بردة بن أبي موسى الأشعري، ت:٢٢٤هـ، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٦– ٢٠٠٥م.

٢٨ــ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس – حقيق محمد هارون – دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٩ــ الملل والمحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت :٥٤٨ هـ ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، ١٤٠٤ه.

٣٠ــ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٣١ــ هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الإباضي المصعبي، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة،الطبعة الثانية، ١٤١٣ه– ١٩٩٣م.